القطن المصرى

للدكتور محسن عباس الديدى

عرف

الإنسان زراعة القطن ونسجه منذ زمان طويل ، فقد دلت الحفريات فى بلاد الهند أن هناك قرية صغيرة فى وادى الإندس عرف سكانها منذ ثلاث آلاف سنة نبات القطن وعرفوا كيف يغزلونه وينسجونه .

أما فى الإقليم المصرى فأول ذكر له ورد فيما كتبه بلينى عام ٧٠ ميلادية فيقول « تنمو بالجزء الجنوبى من مصر المواجه لبلاد العرب شجيرة يسميها البعض (جوسبيون) ويسميها البعض الآخر (زيلون) ويعرف القماش الناتج منها باسم (زيلينا)، وهى شجيرة قليلة الارتفاع ثمرتها تشبه الجوزة يؤخذ من داخلها صوف للنسيج لا يضاهى فى بياضه ونعومته ، وتصنع منه ملابس محببة جداً إلى الكهنة المصريين » .

وعندما وصل العرب إلى الإقليم المصرى فى القرن السابع الميلادى ، كان ذلك دافعاً لزراعة القطن الحولى الذى جلبوه معهم من الشام ، بل أن العرب عندما امتدت فتوحاتهم إلى أوربا نشروا معهم زراعة القطن وأدخلوها فى البلاد التى غزوها كما حدث فى صقلية وأسبانيا .

وفى أواخر القرن الثامن عشر جاءت الحملة الفرنسية إلى الإقليم المصرى ووجد علماء هذه الحملة ، أن هناك قطناً حولياً يزرع فى جهات سمنود والمحلة الكبرى يطلق عليه الفلاحون إسم (القطن البلدى) ، ووجدوا نوعاً ثانياً معمراً يزرع فى الوجه القبلى وخصوصاً فى الأقصر ، ونوعاً ثالثاً أقل انتشاراً كان يعرف بقطن الشجر وكان يزرع فى البساتين للزينة . وكانت تيلة الأقطان البلدية قصيرة خشنة الملمس ، قليلة الأهمية الاقتصادية .

■ الدكتور محسن عباس الديدى : مدير قسم بحوث تربية القطن بوزارة الزراعة وعضو اللجنة الاستشارية لبحوث القطن .

ولكن فجر النهضة القطنية الحديثة فى الإقليم المصرى لم ينبثق إلا فى عام ١٨٢٠ عندما تمكن جوميل مدير مصانع الغزل والنسيج ببولاق أن يكتشف شجيرة قطن مزروعة للزينة فى حديقة أحد الأثرياء هو (محو بك) تفوق تيلتها تيلة الأقطان البلدية المزروعة حينئذ ، وعند ما جربت زراعة القطن الجديد فى بضعة أفدنة بالقرب من القاهرة جاءت بمحصول وافر فشجع ذلك من إكثار القطن الجديد الذى عرفته الأسواق القطنية باسم قطن جوميل أو محو جوميل . وشجع نجاح هذا القطن إلى إدخال أصناف أخرى أجنبية وتجربة زراعتها ، ولكن هذه الأصناف المستوردة لم تكن تزرع منفصلة عن قطن جوميل فحدث تهجين طبيعى بينها نتج عنه ظهور أول أقطاننا المصرية وهو القطن الأشموني الذى احتفلت البلاد فى العام الماضى بمرور مائة عام على استنباطه ، وبظهوره اضمحل قطن جوميل حتى اختفى تماماً من الزراعة .

ومما ساعد على تثبيت أقدام مصر فى ميدان إنتاج الأقطان العالمية هو نشوب الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ — ١٨٦٥) وما ترتب عليها من قلة محصول القطن الأمريكى ، إذ اتجهت الأنظار إلى الأقطان المصرية وأصبح لزاماً أن يحتفظ الإقليم المصرى بمكانته الممتازة بالاستمرار فى الاتساع فى زراعة القطن وفى تحسين أصنافه وفى تجربة زراعة الأقطان الأجنبية ، وظهرت فى السنين التى أعقبت ذلك جهود كثير من الأفراد فى هذا الصدد نذكر منهم جون سكلاريدس مستكشف القطن المعروف باسمه والذى أكسب الإقليم المصرى سمعة مدوية فى السنين الأولى من هذا القرن ، وأنطونى براخيموناس الذى أنتخب الأصيلى ، وفلتوس الذى أوجد الصنف المسمى باسمه ، وزفيرى براخيموناس الذى اكتشف الزفيرى ، ونقولا براخيموناس ولعله أشهرهم جميعاً إذ ينسب إليه فضل استنباط العديد من الأصناف المصرية وأهمها الزاجوراه والبلبون والفؤادى والنوبارى .

ولكن مجهودات هؤلاء الأفراد لم تمنع الخطر الذى كان محدقاً بزراعة القطن فى الإقليم المصرى وهو تناقص محصول الفدان من القطن ابتداء من السنين الأولى لهذا القرن حتى وصل إلى ٣٠ر٣ قنطار فى عام ١٩٢٠ بعد أن كان ١٠ر٥ قنطار فى عام ١٩٠١ ، فتلجأ الحكومة إلى إنشاء مجلس مباحث القطن لدراسة طبيعة هذا التدهور فى غلة القطن وفى انحطاط جودته وأصنافه — وهنا تظهر مجهودات الفنيين

الزراعيين العرب فى سبيل تحسين المحصول الرئيسى للبلاد ، فبعد سنين قليلة من بدء البحث العلمى المنظم لهذا المجلس نجد أن غلة الفدان قد ارتفعت ، كما أن تيلة الأصناف قد تحسنت ، واستنبطت أصناف أخرى محسنة زادت من أهمية أقطاننا فى أسواق العالم ، وأصبح القطن يحتل من جديد مركز الصدارة فى اقتصاديات البلاد . فالقطن حالياً يمثل ٣٨ ٪ من جملة القيمة النقدية للمحاصلات الزراعية ونحو ٢٥٪ من جملة الدخل الزراعى القومى ، كما أن قيمة صادراته تزيد على ثلاثة أرباع قيمة صادرات الإقليم المصرى كله ، وهو أهم مصدر للحصول على النقد الأجنبى .

وبالرغم من أن نسبة إنتاج الإقليم المصرى من الأقطان لا يتجاوز نحو ٤,٥٪ من جملة الإنتاج العالمى ، إلا أنه يعتبر أكبر مصدر فى العالم لإنتاج الأقطان طويلة التيلة حيث تصل نسبة ما ينتجه منها إلى ٤٤ ٪ .

وتقع الأقطان المصرية وفقاً لطول تيلتها فى ثلاث طبقات رئيسية هى :

(١) أقطان طويلة التيلة (فوق $1\frac{3}{8}$ بوصة) ، ويمثلها أصناف جيزة ٤٥ والكرنك والمنوفى .

(٢) أقطان طويلة — وسط التيلة (من $1\frac{1}{4}$ — $1\frac{3}{8}$ بوصة) ، ويمثلها أصناف جيزة ٣٠ ودندرة وجيزة ٤٧ وبهتيم ١٨٥ .

(٣) أقطان متوسطة التيلة (من $1\frac{1}{8}$ — $1\frac{1}{4}$ بوصة) ، ويمثلها الأشمونى .

وفيما يلى نبذة عن مميزات كل صنف واستعمالاته :

(١) جيزة ٤٥ :

هجين صناعى بين جيزة ٢٨ × جيزة ٧ ، وهو قطن ممتاز فى جودته ويعتبر من أفخر أصناف القطن فى العالم . طول تيلته ٤٠ مليمترا ، ونعومته فائقة تبلغ ٠,٠٠١١٦ مليجرام ، ومتانته عالية تبلغ ٣١٠٠ (على نمرة ٦٠ مسرح) . ويستعمل هذا القطن لإنتاج المنسوجات الفاخرة وصناعة خيوط التطريز ، ويمكن غزله على نمر عالية .

(٢) الكرنك :

هجين صناعى بين معرض × سخا ٣ ، وهو من الأصناف الممتازة ، تبلغ

طول تيلته ٣٩ مليمترا ، ومتانة غزله حوالى ٢٨٠٠ (على نمرة ٦٠ مسرح) ، ونعومته ٠,٠١٣٥ مليجرام ، ويستعمل فى صناعة خيوط الحياكة والتريكولين والارجاندى والموسلين والمنسوجات الجيدة بصفة عامة .

(٣) المنوفى :

هجين صناعى بين الوفير × سخا ٣ ، طول تيلته ٣٨ مليمترا ، نعومته ٠,٠١٣٨ مليجرام ، ومتانته ٢٧٠٠ (على نمرة ٦٠ مسرح) ، ويستعمل هذا الصنف فى جميع الأغراض التى يستعمل فيها الكرنك ، إلا فى بعض صناعات خاصة يفضل الكرنك فيها .

(٤) جيزة ٣٠ :

هجين صناعى بين جيزة ٧ × سخا ١١ ، تيلته لامعة ذات لون قشدى فاتح طولها ٣٤ مليمتر ، ونعومته ٠,٠١٤٧ مليجرام ، ومتانته ٢١٠٠ (على نمرة ٦٠ مسرح) ، ويتميز هذا القطن ببياض لونه ونضجه التام . ويستعمل فى صنع الملابس الداخلية والفانلات وخيوط التريكو وملابس الرياضة .

(٥) جيزة ٤٧ :

منتخب من الأشمونى ، إلا أنه أطول وأنعم منه ، طول تيلته ٣٥ مليمترا ، ونعومته ٠,٠١٥٥ مليجرام ، ومتانته ٢٢٠٠ (على نمرة ٦٠ مسرح) ويستعمل فى جميع الأغراض التى يستعمل فيها جيزة ٣٠ .

(٦) الدندرة :

منتخب من جيزة ٣ المنتخب أصلا من الأشمونى ، طول تيلته ٣٣ مليمترا ونعومته ٠,٠١٤٥ مليجرام ، ومتانة ٢١٠٠ (على نمرة ٦٠ مسرح) ، وهو كجيزة ٤٧ يستعمل فى نفس الأغراض التى يستعمل فيها جيزة ٣٠ .

(٧) بهتيم ١٨٥ :

صنف جديد استنبطته الهيئة الزراعية المصرية ، منتخب من الأشمونى ، أطول وأنعم منه ، طول تيلته ٣١ مليمترا ، ونعومته ٠,٠١٦٦ مليجرام ، ومتانته

١٨٥٠ (على نمرة ٦٠ مسرح) ، ويستعمل هذا الصنف فى الأغراض التى يستعمل فيها صنفا الأشمونى والجيزة ٣٠ .

(٨) الأشمونى :

أقدم أقطاننا المصرية ، ظهر عام ١٨٦٠ ويعتبر أب الأقطان المصرية كلها إما مباشرة أو بالتهجين مع سلالة سانت كيتس فيما بعد . طول تيلته ٣١ ملليمترا ، وينفرد عن بقية أصناف القطن المصرى بخلوه تقريباً من العقـــد ، نعومته ٠,٠٠١٧٥ ملليجرام ، متانته ١٧٠٠ (على نمرة ٦٠ مسرح) ، ويستعمل هذا الصنف فى إنتاج الملابس العادية والجوارب والفانلات ، ويتميز بسهولة تشغيله فى مصانع الغزل لخلوه نسبياً من العقد ، ومن هنا كانت شهرته العالمية .

وقد اهتمت حكومة الثورة بالقطن ، وأولته ما هو جدير به من العناية لتحتفظ له بمكانته فى الأسواق العالمية القطنية وخاصة بعد المنافسة الشديدة التى بدت من بعض الدول الأجنبية المنتجة لأصناف مماثلة للأصناف المصرية فى صفاتها الغزلية ، وزيادة إنتاج الألياف الصناعية عاماً بعد آخر والتحسين المستمر فى صفاتها.

وتقوم سياسة وزارة الزراعة فى إنتاج أصناف القطن على المحافظة على نقاوة الأصناف التجارية المتداولة بإنتاج تقاوى نقية مجددة من كل صنف ، وعلى رفع غلة الفدان عن طريق تحسين المعاملات الزراعية بدراسة أوفقها فى المناطق المختلفة ، وعلى استنباط أصناف جديدة تتفوق فى المحصول والجودة على الأصناف التجارية ، كما اتخذت الوزارة إجراءات عديدة لـ حافظة على المستوى العالمى للأقطان المصرية نوضحها فيما يلى :

أولا : تخصيص منطقة لزراعة كل صنف من أصناف القطن :

عنيت وزارة الزراعة بتخصيص منطقة لكل صنف من أصناف القطن بحيث لا يزرع فى المنطقة الواحدة سوى صنف واحد للقضاء على عوامل التهجين الطبيعى الذى كان يحدث بين الأصناف المختلفة بسبب زراعتها متجاورة ، وقد نفذ هذا التحديد لأول مرة عام ١٩٥٨ ، وقد روعى فى اختيار هذه المناطق ملاءمتها للصنف المخصص لها من ناحية المحصول والصفات الغزلية .

ثانياً : تخصيص محالج لحلج كل صنف من أصناف القطن على حدة :

كما اتخذت الوزارة إجراء آخر لا يقل أهمية عن سابقه بأن قامت بتخصيص محالج لكل صنف من أصناف القطن بحيث لا يسمح لأى محالج بحلج أكثر من صنف واحد، هو الصنف المصرح بزراعته فى المنطقة الكائن بها المحلج. وقد بدىء بتنفيذ هذه السياسة ابتداء من موسم الحليج ١٩٥٧ / ١٩٥٨ . ومن الطبيعى أن يمنع هذا الإجراء جميع احتمالات الخلط الميكانيكى الذى قد يحدث بين بذور الأصناف بسبب حلجها متعاقبة فى المحالج الواحد .

ثالثاً : تعميم تقاوى الإكثار :

لما كانت البذرة النقية تحمل فى تركيبها الوراثى عوامل الإنتاج العالى كما ونوعا لذلك كان تحسين صفات أى محصول بالإرتفاع بمستوى النقاوة فى تقاويه ، ونظراً لما هو معروف من تفوق تقاوى القطن الإكثار (وهى ناتج الزراعات المتعاقد عليها مع الوزارة والتى مصدرها أصلا التقاوى الناتجة من مزارع الوزارة نفسها) على مثيلاتها من تقاوى قطن الأهالى فى المحصول وصفات الغزل ، فقد عملت الوزارة على التوسع فى المساحات المتعاقد عليها لإنتاج تقاوى الإكثار توسعاً كبيراً حتى بلغت ٤٤١ ألف فدان فى عام ١٩٥٩ فى حين أنها لم تتعد ٤٥ ألف فدان فى عام ١٩٥٣ ، أى أن مساحة حقول الإكثار قد تضاعفت خلال سنى الثورة إلى ما يقرب من عشرة أمثالها .

وتأمل الوزارة أن تصل فى القريب إلى تغطية جميع المساحة القطنية من مختلف الأصناف بتقاوى القطن الإكثار .

رابعاً : إنشاء صندوق تحسين الأقطان المصرية :

قامت الحكومة بإنشاء هذا الصندوق عام ١٩٥٩ ومهمته العمل على تحسين الأقطان المصرية ووضع النظم الكفيلة بإنتاج تقاوى القطن والمحافظة على نقاوتها عن طريق منح مكافآت سخية لمنتجى التقاوى المقبولة فى الفحص من الزراع والتجار والحلاجين . وهذا الصندوق ذو ذمة مالية مستقلة ويمول عن طريق رسم حليج إضافى قيمته ١٠٠ مليم عن كل قنطار من القطن الشعر .

وتدرك الوزارة أن هذه الإجراءات ستحفظ للقطن المصرى المركز المرموق الذى يحتله فى الأسواق العالمية ، ولكنها لا تغفل بجانب ذلك أهمية المنافسة الشديدة التى يواجهها القطن المصرى من الدول الأخرى المنتجة سواء للأقطان طويلة التيلة كما فى حالة إنتاج الولايات المتحدة الأمريكية لأقطان أبلندية جديدة أطول تيلة عما كانت عليه كصنف آكالا ٤ — ٤٢ ، وصنف آكالا ١٥١٧ وغيرها. أو الأقطان طويلة التيلة الممتازة كإنتاج بيما — س ١ فى الولايات المتحدة وأقطان بيرو وغيرها ، كما تدرك الوزارة مدى ما يبذله الفنيون فى تلك الدول من مجهود فى ميدان المنافسة القطنية ، لهذا فإنها قد رسمت سياسة لمقابلة هذه المنافسة تتلخص فى استنباط أصناف جديدة من القطن تتميز على الأقطان المتداولة بتفوقها فى المحصول والجودة ، حتى تضمن زيادة الإقبال على الأقطان المصرية . ونذكر فيما يلى بعض الأصناف المستحدثة التى ما زالت فى طور التجربة التى سيكون لها مستقبلا مرموقاً ، وكلها مستنبطة بواسطة الفنيين العرب الذين يشتغلون بوزارة الزراعة .

(١) جيزة ٥٩ :

هجين بين المنوفى × جيزة ٤٤ ، ورث عن أبويه صفات المحصول العالى والمقاومة الشديدة لمرض الذبول وقوة الشعرة الذاتية ، وتيلته من طراز تيلة الكرنك ولكنه يزيد على أفضل سلالات الكرنك فى متانة الغزل بحوالى ١٠ ٪ على الأقل ، وفى محصول القطن الزهر بحوالى ٨ ٪ ، وفى محصول القطن الشعر بحوالى ١٠ ٪ .

(٢) جيزة ٦٨ :

هجين بين المنوفى × جيزة ٥٦ ، ورث عن أبويه صفة التبكير فى النضج . تيلته أقصر من تيلة المنوفى ويماثله فى متانة الغزل ، يتفوق على المنوفى فى محصول القطن الزهر بحوالى قنطار ، وفى القطن الشعر بحوالى ١,٥ قنطار ، وفى تصافى الحليج بحوالى ٦,٥ رطل .

(٣) جيزة ٦٧ :

هجين بين جيزة ٣٠ × جيزة ٥٣ ب ، ورث عن أبويه لون القطن الجذاب

وارتفاع المحصول وعلو تصافى الحليج ، سجل أعلى وزن لوزة فى الأقطان المصرية ، يعلو أصناف الدلتا كالمنوفى وجيزة ٣٠ وجيزة ٤٧ فى متوسط محصول الفدان من القطن الزهر . يتفوق على جيزة ٣٠ بأكثر من ١٠ ٪ فى محصول القطن الزهر وأكثر من ١٧ ٪ فى محصول القطن الشعر ويعلوه أيضاً فى تصافى الحليج بحوالى ٨ أرطال ، كما يتفوق على بهتيم ١٨٥ بحوالى ١٥ ٪ فى محصول القطن الزهر و١٩ ٪ فى محصول القطن الشعر ويعلوه أيضا فى تصافى الحليج بحوالى ٤ أرطال .

(٤) جيزة ٦٦ :

هجين بين جيزة ١٤٦ × جيزة ٤٧ . صنف قوى التوجداً ، ويعطى أعلى محصول فى الوجه القبلى ويتفوق قليلا على أفضل سلالات الأشمونى فى متانة الغزل ولكنه يفضله فى صفات التيلة . يتفوق على الأشمونى فى متوسط محصول الفدان من القطن الزهر بحوالى ١٥ ٪ ، وفى تصافى الحليج بحوالى تسعة أرطال ويصل تفوقه فى متوسط محصول الفدان من القطن الشعر إلى أكثر من ٢٠ ٪ .

(٥) جيزة ٦٩ :

هجين بين جيزة ١٥١ × جيزة ٣٠ ، تماثل خواص تيلته خواص تيلة جيزة ٣٠ ولكنه يمتاز عنه فى متانة الغزل بمقدار ١٠,٥ ٪ . يعلو جميع الأصناف المصرية فى تصافى الحليج ويتفوق على جميع أصناف الوجه البحرى العالية المحصول . يتفوق على جيزة ٣٠ بمقدار ١١ ٪ فى القطن الزهر ، ٢١ ٪ فى القطن الشعر ، ١١ رطلا فى تصافى الحليج .

وقد اختبرت بعض المصانع هذه الأصناف الجديدة وشهدت لها بتفوقها على الأصناف التجارية فى صفاتها الغزلية .

إن هذه الأصناف الجديدة من القطن لبرهان صادق على مجهودات الفنيين الزراعيين من أبناء الجمهورية العربية المتحدة فى سبيل رفع شأن الأقطان المصرية فى الأسواق العالمية ، حتى غدت أنظمتنا المتبعة فى الإقليم المصرى سواء فى تربية القطن أو إكثاره من أدق النظم المتبعة فى العالم .